" الحوار في شعر عروة بن الورد " الرؤية والتشكيل

١- د. محمد خليل الخلايلة

أستاذ الأدب القديم ونقده المساعد

بالجامعة الهاشمية الزرقاء- الأردن

٢- د. منذر كفافي

أستاذ الأدب الجاهلي المساعد بجامعة

الإسراء- عمان- الاردن

ملخص

تحاول هذه الدراسة ملامسة النص الأدبي من الداخل ، إذ وقفت عند أسلوبية من أساليب الصنعة الشعرية وهي الحوار وأبرزت الحوار في شعر عروة بن الورد ، ودوره في بناء النص الشعري وحمله للرؤى المختلفة .

وتقوم الدراسة على ما يلي :

التمهيد .

الحوار ورؤية الكرم والعطاء .

الحوار ورؤية الشجاعة والمخاطرة بالنفس .

الحوار ورؤية التضحية في سبيل المبدأ .

الخاتمة .

التمهيد :

الحوار لغة المحاورة أي المجاوبة والجواب ، ويقال كلمته فما أحار جوابا أي ما ردّ جوابا ، وأحار الرجل الجواب ردّه .[١]

والحوار اصطلاحا حديث يجري بين شخصين أو أكثر يتسم بوحدة في الموضوع .[٢] ومن هذا التعريف الاصطلاحي للحوار كانت ضرورة التفرقة بين الحوار الذي يُراد الحديث عنه في القصيدة العربية عامة وفي ديوان عروة بن الورد خاصة ، والحوار بمفهومه في النقد الحديث ، هذه التفرقة جاءت مطلبا ضروريا وأساسيا وذلك لاختلاف البيئات والثقافات والمعايير الأدبية ، فالحوار المقترح هو ذلك الذي يعبر عن الواقع ، ويروي الشاعر من خلال أفكاره ورؤيته للحياة ، فيقص ما حصل بينه وبين الطرف الآخر عن طريق سؤال وجواب، أو عن طريق أسلوب خطابي ، سواء أكان هذا الحوار أو الخطاب واقعيا أم متخيلا[٣]

وتبرز أهمية الحوار ودوره في بنية النص الشعري ، فهو يعدّ لازما ومكونا تقليديا لا غنى عنه ، لأنه يضفي على الأبيات نوعا من الوحدة والتماسك فتظهر الأبيات بشكل متناسق ، فمن خلاله تتحقق فائدة تسلسل الأفعال والصور والمعاني بشكل متنام ، واستخدام الشاعر لأسلوب الحوار يجعله يبتعد عن الطريقة التقليدية في كتابة النص تلك الطريقة التي تعتمد على الجانب التقريري ، فقد سئم الشعراء هذه الطريقة وأخذوا بالبحث عن نموذج آخر أكثر تشويقا وحيوية وإقناعاً للقارئ أو المستمع فوجدوا ضالتهم في هذه النموذج الأسلوبي الذي يعدّ أداة فنية تدل على طبائع الشخوص ودخائل

---

١ – ابن منظور ، لسان العرب ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٣ ، مادة حور ، والفيروز أبادي ، القاموس المحيط : دار الحديث ، القاهرة ، مادة حور .

٢ – إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار الأمواج ، بيروت ، ١٩٨٧ ، مادة حور ، وناصر الحاني ، المصطلح في الأدب الغربي ، دار المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٨، ٥٣ .

٣ – راجع ذلك في : عزا لدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٨، ٢٩٨ ، و د . السيد أحمد عمارة ، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، دار تركي للطباعة طنطا ، ١٩٩٣ ، ١١ – ١٢

النفوس، ويسهم أيضا في توضيح المواقف وإبراز الأفكار .[1] فالحوار يعد الجسر الفكري الذي ساعد الشعراء على تبليغ دعوتهم وإيصالها إلى الناس ، فهو وسيلة لتقديم حدث وحركة ، بل إن احتواء النص الشعري على عنصر الحوار يساعد على كشف غوامضه وإشكالياته الخفية .

وتكشف القراءة الفاحصة لديوان عروة بن الورد عن خصوصية بنية الحوار في شعره، هذا الحوار الذي كان يجريه الشاعر غالبا على لسان العاذلة ، وهذا التوظيف للعاذلة يُوجد في كثير من الشعر العربي قديمه وحديثه ، إذ أن هذه العاذلة تعد أداة فنية تعبر عن صوت الأنا الأخرى المنشقة عن الأنا البطولية ، لذلك فالحوار مع العاذلة حوار مع النفس على أساس أن العاذلة تمثل صوت الشاعر الداخلي الباطني ، فالشاعر يتحاور مع نفسه من خلال تحاوره مع العاذلة أو خطابه إياها[2] وهذا بحد ذاته يشكل إشكالية عميقة لا بد من كشفها وتجليتها وهذا ما سيتم تبيانه في الصفحات القادمة .

ويمكن تقسيم الحوار في ديوان الشاعر عروة بن الورد وفقا للرؤى الآتية :

١- الحوار ورؤية الكرم والعطاء

٢- الحوار ورؤية الشجاعة والمخاطرة بالنفس

٣- الحوار ورؤية التضحية في سبيل المبدأ

١- انظر محمد مندور : الأدب وفنونه ، دار نهضة مصر ، ط٢ ، ٧٢ ،و سعيد الأيوبي : عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي ، الرباط ، ١٩٨٥ ، ٢٠٤ ، وسامي سويدان ، الحوار في الرواية : الموقع والدور ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، العدد ٩١ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٩ ،و مي يوسف خليف : العناصر القصصية في الشعر الجاهلي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤ ، ١١٨ ،و نوري القيسي : ملامح من الشعر القصصي في الأدب العربي ، مجلة كلية الأدب ، بغداد ،المجلة ٢٤ ، ١٩٧٩ ، ١٧٤ ،و بسفيلد روجر : فن الكتاب المسرحي ، ترجمة دريني خشبة ، دار نهضة مصر – الدار العربية القومية للطباعة ، القاهرة،١٩٦٤ ،٢٥٩ ، ٢٦٠

٢ – انظر د.إبراهيم السنجلاوي : العاذلة في الشعر الجاهلي ، مجلة الدراسات العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، المجلد ٧ ، العدد ٢٧ ، ١٩٨٧ ، ٣٦ وما بعدها ،و إبراهيم أحمد ملحم : العاذلة في الشعر العربي إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، رسالة دكتوراة ، جامعة اليرموك ١٩٩٧ ، ٣٢ وما بعدها ، ود.حسني عبد الجليل :

أولا :- الحوار ورؤية الكرم والعطاء -

إن الناظر إلى خصيصة الكرم في العصر الجاهلي يجد أنها قد احتلت مكانة عظيمة في أوساطه، وقد افتخر العرب في جاهليتهم بهذه الصفة ، فالكرم يمثل لهم قيمة اجتماعية هامة وملحة كانوا يتخذونها نهجا لحياتهم ولم تكن هذه الصفة ثانوية في المجتمع وإنما كانت أساساً من الأسس التي قام عليها، فكونت شخصيته وكانت جزءاً من بنيانه ونشأته ، ولعل الدافع وراء الاهتمام بالكرم أنه يعد سبباً لديمومة الحياة ، فمن خلال هذا السلوك الإنساني الإيجابي الكريم يتم القضاء على الفقر وذلك بتوزيع الغنائم على المحتاجين لسد حاجتهم .

فقد نظر الشاعر الجاهلي إلى الكرم على أنه " لازم لتحقيق غايات كثيرة إنه رسالة اجتماعية تعزز مكانته عند الناس وتعمق انتماءه لقبيلته ويعمل على رفع مكانتها، وهو قبل كل شئ احتياط أمني يقيه مغبة ما قد يتعرض له من أحداث ، وهو أيضا استجابة لصوت داخلي يفرضه سلطان غريزة حاجة الناس إلى الجماعة في مثل هذه الظروف "[1]

فطبيعة الحياة الجاهلية الصحراوية وما يعانيه الناس من فقر شديد ساهم إسهاما كبيرا في نشوء حقيقة الكرم في نفوس الشعراء الجاهليين عامة والشعراء الصعاليك على وجه الخصوص وعلى رأسهم عروة بن الورد[2]

ولعل المرء يتساءل – وحق له ذلك – عن مصدر الكرم عند هؤلاء الشعراء الصعاليك، فهم فقراء لا يملكون شيئا فمن أين ينفقون الأموال على المحتاجين ؟ وتكمن الإجابة عن ذاك في أن الغنائم التي كانوا يأخذونها من غاراتهم وغزواتهم كانت مصدر

---

١ – منذر محمد الزعبي:البطولة في الشعر الجاهلي ،رسالة دكتوراة ،جامعة اليرموك ، ١٩٩٧ ، ٤٨

٢ – راجع هذه الفكرة في : شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٠ ، ١٩٨٢ ، ٦٨ ،و أحمد الحوفي : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر ، ط٣، ١٩٥٦، ٣٠، وعمر فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، دار الملايين ، بيروت، ١٩٦٨، ٢٧، ومحمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٣٥/١

كرمهم وعطائهم ، والجدير بالذكر والإشارة هنا أن الهدف الأسمى لهم من وراء ذلك هو القضاء على الفقر الذي يعاني منه كثير من الناس وعانى منه هم أنفسهم ، وهذا هدف سعى إليه كثير من الصعاليك ومنهم عروة ابن الورد على وجه التحديد .

وعند ملامسة نفسية عروة بن الورد نجد رغبته في الكرم تملأ نفسه وتتأجج بين جوانحه كانت دافعا أساسيا إلى الثورة الاقتصادية ، هذه الثورة الاقتصادية التي دفعته إلى مهاجمة الأغنياء البخلاء ليوزع ما يغتنمه منهم على الفقراء الذين كانوا يلتفون حوله في سنين القحط والجوع[١]

إن الهدف الذي سعى إليه عروة بن الورد يتمثل في كثير من أشعاره وقد صاغها بأسلوب حواري معبّر ، ومن ذلك قوله رادا على زوجته التي حاورته ونهته عن إنفاق المال :

هلا سألت بني عيلان كلهم عند السنين إذا ما هبت الريح
قد حان قدح عيال الحي إذ سغبوا وآخر لذوي الجيران ممنوح[٢]

فهو يرد على زوجته مبينا لها رؤيته وهدفه من الكرم وهو رفع الجوع عن المحتاجين والمعوزين ، ولا سيما في وقت الشدة والحاجة الملحة أي في وقت الشتاء والبرد ، لذلك فإن العرب يمدحون الكرم في الشتاء لأن الحياة الجاهلية أقسى في هذا الفصل منها في الصيف على قساوتها في هذا الأخير أيضا ، فالشاعر هنا يفند رأي زوجته ولا يقبل به ، لأن عادة الكرم راسخة في نفسه ووجدانه ، والدليل على ذلك أنه لا ينفق هذا الطعام على أولاده وأهله فحسب وإنما يجعل منه جزءاً للفقراء والمحتاجين من أبناء القبيلة ، فما ينادى به

---

١ – انظر حول ذلك إميل النجار : أبو الصعاليك عروة بن الورد ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص، ط١، ١٩٨١، ٢٥– ٢٦ .

٢ – أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت : ديوان عروة بن الورد ، تحقيق محمد نعناع ، مكتبة الخانجي ، مصر ،ط١، ١٩٩٥، ٧٢ ، عيلان : اسم أبي قيس بن عيلان وقيل اسم فرس فأضيف إليه، وعند السنين : أوقات المجاعة ، وقد حان : نصيبان ، وسغبوا : جاعوا ، وعيال الحي : فقراؤه

صوت العذل بعيد كل البعد عن مبدئه وفلسفته في الحياة ،فالكرم عنده نابع من فلسفة قائمة على كونه عادة لا يمكنه التخلى عنها .

ويكرر هذه الفكرة مخاطبا أم مالك قائلا :-

سلي الطارق المعتَر يا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري

أيسفر وجهي إنه أول القرى وأبذل معروفي له دون منكري[1]

إن العاذلة تدعو الشاعر إلى التوقف عن بذل المال، وهذه النصحية هي المحور الأساس التي تريد ، لكن مذهب الشاعر مخالف لتلك النظرة ، فنراه يقدم لها منهجا في كيفية معاملة الضيف وإكرامه ، فهو إن جاءه الضيف يلقاه بوجه بشوش حتى يدُخل الطمأنينة إلى نفسه ، لأن البشاشة هي أول الكرم ودليل القرى ، وهو بالإضافة إلى ذلك لا يسأله عن اسمه أو بلده أو مقصده ، بل يقدم له ما لديه إكراماً له، وهذا التعامل مع الضيف من الناحية النفسية كان عروة بن الورد من أوائل الذين تنبهوا إليه وطبقوه ، ولعل استخدامه للاستفهام الاستنكاري في قوله (أيسفر وجهي) أكبر دليل على استنكار الشاعر لوجهة نظر هذه المرأة وتعبير صريح عن منهجه في الحياة .

ومن البنى الحوارية التي تبرز رؤية الشاعر تجاه الكرم قوله راداً على قيس بن زهير الذي عيّره بأنه يأكل ما عند الآخرين : -

إني امرؤ عافي إنائي شركةٌ وأنت امرؤٌ عافي إنائك واحدُ

أتهزأ مني أن سمنتَ وقد ترى بجسمي مسُّ الحق والحقُّ جاهد

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراحَ الماء والماء باردُ[2]

---

١ – ديوانه : ١٣٥ – ١٣٦ ، الطارق : الآتي ليلا للضيافة ، والمعتر : المعترض ولا يسأل، والمجزر : موضع جزر الإبل ، ويسفر : يتهلل بالبشاشة ، والمعروف : القرى ، والمنكر : أن يسأله عن اسمه ونسبه وبلده ومقصده .

٢ –ديوانه : ٦٨ – ٦٩ ، العافي : طالب المعروف ، وشركة : جماعة ، والحق : صلة الرحم وإعطاء السائل ، والماء القراح : الذي لا يخلطه لبن ولا غيره ، وقوله والماء البارد : أي في الشتاء فذاك أشد .

ومما هو حريّ بالقراءة في إطار منطوق الأبيات أن البؤرة المحورية الأساس التي تمسك بتلابيب النص الحواري تتعلق بخلق موازنة بين الشاعر وقيس بن زهير ، فالشاعر يرد على قيس فيقول له : إنني رجل كريم لا آكل وحدي بل يأكل معي المحتاجون وذوو الحاجة ، أما أنت يا قيس فرجل بخيل لا تحب أن يأكل معك أحد .

ويستمر الشاعر في محاورته لقيس قائلاً له : أتسخر مني لأني ضعيف نحيل وأنت رجل سمين ضخم ، فإن ضعفي ونحولي سببه أنني مشغول في رد الحقوق إلى أصحابها ، ولذلك فإنني لست جديراً لأن تسخر مني ، أنما الجدير بالسخرية هو أنت.

ثم يبين لقيس بن زهير جانباً من كرمه وجوده وهو أنه يجود بأمواله وطعامه على المحتاجين ويؤثرهم على نفسه على الرغم من حاجته وجوعه فهو يكتفي بالماء البارد ليوفر لغيره طعاماً .

فعروة بن الورد قدّم من خلال استخدامه أسلوب الحوار مع قيس بن زهير مثلاً أعلى في الكرم وإطعام المحتاجين ، فكان دور الحوار هنا ماثلاً لا مرية فيه ، وإن كان هذا الحوار من طرف واحد في شكله الظاهري .

ومن البنى الحوارية التي ساعدت على بيان رؤية الشاعر تلك البني الحوارية التي تتحدث عن فقره وما يعانيه من حرمان ، فالفقر كان عاملاً أساسياً في ظهور فضيلة الكرم كما أُشيرَ آنفاً ، فالشاعر عانى من الفقر وهو لا يريد لغيره أن يعانيه إطلاقاً ،ومن هنا جاء حبه للكرم وهو بهذا العمل أراد أن" يعوّض عن نقص يحس به وعقدة يمكننا أن نسميها عقدة الفقر التي كانت تحزّ في نفسه وقلبه وتؤلمه أشد الألم ، فوجد ما يحل هذه العقدة ويحطمها في الكرم"[1]

وانظر إلى هذه الأبيات التي يبين فيها الفرق بين الغنى والفقر بأسلوب حواري خطابي مع زوجته قائلاً : -

---

١ – حسني محمود : عروة بن الورد الشخصية والمثال ، مجلة المورد ، بغداد ، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، ١٩٨٢ ، ٤١ .

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيتُ الناسَ شرُّهُمُ الفقيرُ
وأهونهم وأحقرهم لديهم ... وإن أمسى له كرمٌ وخيرُ
ويُقصَى في النَّديِّ وتزدريه ... حليلته وينهرُهُ الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلالٌ ... يكاد فؤاد لاقيه يطيرُ
قليل ذنبُهُ والذنبُ جَمٌّ ... ولكنّ الغنى ربٌّ غفورُ[1]

يجسد حوار الشاعر مع زوجته هنا رؤية خاصه ونظرة متميزة نحو الغنى ، فمن خلال المجرى التعبيري القائم على المحاورة والمجادلة يبين الشاعر أن الفقير شر الناس وأحقرهم وأهونهم ، وهو غير محبب لدى الآخرين حتى زوجته والولد الصغير يحتقرانه ، وهو إن تحدث في مجلس لا يُسمع له ولا ذنب له سوى أنه فقير معدوم الحال ، أما الغني فمنزلته رفيعة وعظيمة وكبيرة ، وله كل الاحترام في المجالس بسبب غناه .

ويتضح من السابق أن الشاعر لم يكن يريد الغنى من أجل تحقيق أهداف شخصية له ، بل على العكس من ذلك فإن هدفه من ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية التي يشعر أنها مطلوبه منه ، فكأن مثل هذه الأبيات وغيرها تمثل علاقة متكاملة مفادها الأنا x الآخر " نحن " لتحقيق غاية الأنت أو الهو ومن هنا فقد : " كانت الصعلكة عند عروة نزعة إنسانية نبيلة وضريبة يدفعها القوي للضعيف والغني للفقير ، وفكرة اشتراكية تشرك الفقراء في مال الأغنياء وتجعل لهم فيه نصيباً ، بل يغتصبونه إن لم يؤدَ لهم ، وتهدف إلى تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي بين طبقتي المجتمع المتباعدتين:طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء"[2]

يكرر الشاعر هذه الفكرة تجاه الغنى والفقر في أبيات تقوم على الحوار الذي افترضته طبيعة الموضوع وذلك من خلال حواره مع تماضر قائلاً :

---

١ – ديوانه : ١٢٣ : ذريني : اتركيني ، وأهونهم : أذلهم ، والخير : الكرم ، والنـدي : المجلس، وينهره : يزجره ، والجلال : الشأن ، وجم : كثير ، والغني : أي لذي الغنى .

٢ – يوسف خليف : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ ، ٤٧

قالت تماضرُ إذ رأت مالي خوَى وجفَا الأقاربُ فالفؤادُ قريحُ
مالي رأيتُك في النّـديِّ منكِّساً وَصباً كأنكَ في النديّ نطيحُ
خاطر بنفسكَ كي تُصيبَ غنيمةً إن القعودَ مع العيالِ قبيحُ
المالَ فيـــه مهابـــةٌ وتَجِلّةٌ والفقرُ فيه مذلةٌ وفضوحُ[1]

إن تكراره للصورة والفكرة تعبيرٌ صادق عما يحس به من نظرة نحو الغنـــى والفقر ، ويتضح ذلك من خلال مخاطبة تماضر له بعد أن قل ماله وابتعد عنه الأقارب ، وأصبح خافض الرأس في القوم بسبب فقره ، لذلك فهي تطلب منـــه المخاطرة في سبيل الحصول على الغنى الذي يُغني الإنسان عن غيره ، وتقدم له الدليل على ذلك بأن الإنسان إذا أصبح ذا مالٍ فهذا يجلب له المهابة والعظمة بينما الفقر سبب للذل والمهانة والاحتقار .

وتحكي هذه الأبيات ذات الأسلوب الحواري صراعاً داخلياً في نفـــس الشاعر فهو إن أجرى هذا الحوار بينه وبين العاذلة إلا أنها تعبير عن صـــوت داخلي يحس به الشاعر ويريد إخراجه إلى الآخرين ، فجاء الحوار والخطـــاب وأدى هذا الدور على الوجه الأكمل .

ومن هذه المعاني قوله : -

دعيني أطوفْ في البلادِ لعلني أفيدُ غنىً فيه لذي الحقِّ مَحمِلُ
أليس عظيماً أن تُلِمَّ ملِمةٌ وليس علينا في الحقوقِ معوّلُ[2]

فمن خلال حواره مع زوجته التي نهته عن كثرة السفر خوفاً عليه يبين الهدف النبيل من وراء ذلك فهو يريد الحصول على المال من أجل إعطائـــه لـــذوي الحقوق لأنه يرى أن من العار عليه أن تحل مصيبة وشدة بمن هم حوله دون أن يقوم بدوره في هذا المجال .

١- ديوانه :- ٨٨ ، خوى : خلا منه المراح ، وجفا : ترك صلته ، وقريح : جريح ، ومنكسا : يريد خافض الرأس ،وصبا :من الوصب وهو المرض ،والنطيح :الرجل الذي يتشاءم به ،وتجلة:جلالة

٢ -نفسه : ١٢٨ ، أطوف : أكثر الترحال ، وأفيد : أستفيد ، ولذي الحـــق : أي لـــذوي الحقـــوق والواجبات، وعظيماً : عاراً ، والملمة : المصيبة ، والمعول : من التعويل أي الاعتماد والاتكال.

ويجد المتأمل في هذه الأبيات الحوار مقدماً رؤية الشاعر فهو يريد أن يُضحي بنفسه من أجل الغير ، وهذا ما يمكن تسميته روح التضامن مع الآخرين المحتاجين ، وهل هناك أكثر تضامناً مما هو موجود في مثل هذه الأبيات ؟ومن أجل ذلك كله حق لعروة بن الورد أن يأخذ لقب (أبو الصعاليك) أو (عروة الصعاليك) ، فهذه الأخلاق والصفات التي تمتع بها من كرم وغيره[١] وهذه الآراء الحكيمة التي توجد في شعره تجعله يستحق هذا اللقب .

حتى إن الشعر عند عروة بن الورد " لم يعد وقوفاً على الأطلال ووصفاً لرحلات وغزلاً في النساء وثناء على الرجال واستجداء لذوي اليسار داخل الجزيرة أو خارجها ، بل أصبح الشعر تعبيراً عن النفس وإصلاحاً للمجتمع "[٢]

وقد استخدم الشاعر في حواره مع زوجته ، وحواره مع الآخر أفعال الأمر وقد كرر ذلك غير مرة ومن ذلك قوله : ذريني ،ودعيني ، وسلي ، ومثل هذا التكرار لهذا النوع من الأفعال لا يمكن أن يأتي عفو الخاطر أو دون فائدة ، فقد أدت هذه الأفعال وظيفة دلالية في الأبيات ، فهي تشير إلى أن هناك حديثاً وحواراً مع الزوجة ، وأن الشاعر قد سئم من هذا الحوار وهو يريد أن يسكتها لكثرة لومها وعذلها ، فلا سبيل أمامه إلا أن يستخدم هذه الأفعال ذات الوقع الفعال في النفس ، وهي تدل أيضاً على أن هذا الحوار الذي حصل بين الطرفين قد انتهى وخلص إلى نتيجة نهائية وهي عدم رضوخ الشاعر للزوجة أو العاذلة ، وذلك لتعارض مطلب كلا الفريقين أو الطرفين ، لذلك جاءت الأبيات طافحة بالحركة والحياة ، وقد أعطى هذا الأسلوب الحواري الذي لمسناه في الأبيات عامة النص جمالية تعبيرية لم تكن حاصلة بغيره ، فقد ساعد على رسم الصورة العامة التي أراد الشاعر تبيانها .

١- انظر : علي سليمان : الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع ، وزارة الثقافة ، ٢٠٠٢ ، ٢٦٣ وما بعدها فهناك حديث مفصل حول صفات عروة الإيجابية وأخلاقه الحميدة .

٢ – سعيد شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط٢ ، ٣٣٤ .

ثانياً : الحوار ورؤية الشجاعة والمخاطرة بالنفس : -

لقد كانت المغامرات والغزوات التي اتخذها الشعراء الصعاليك نهجاً لحياتهم صفة محببة لهم فقد عرفوا بهذه الصفة ، فأصبحت لازمة لهم لا تفارقهم ، ولعلها صفة لا تنفك أبداً عن صفة الكرم ويتجلى السبب وراء ذلك أن قيامهم بهذه الغزوات والمغامرات كان بهدف أخذ الأموال من الأغنياء البخلاء وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين .

ويلاحظ أن هؤلاء الشعراء يتغنون بهذه البطولات القتالية كما يتضح ذلك في أشعارهم حتى إننا " لنجد أنفسنا أمام أبطال تقترب مغامراتهم من الخيال وتكاد تصبح من الأساطير والخرافات " [١]

ومثل هذه المغامرات والبطولات التي تدل على شجاعتهم كانت نابعة من أنفسهم ولم تكن شيئاً دخيلاً عليهم ، ولذلك فإن هذه المغامرات هي " الحرفة التي قامت عليها حياتهم والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم ، وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بقيمتها في حياته المعجب بها الفخور ببطولته فيها "[٢] حتى إن صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب وصف الصعلوك بأنه " المتفرد للغارات "[٣] .

وما ينطبق على الشعراء الصعاليك عامة ينطبق على عروة بن الورد ، فهناك شعر له يمثل هذا النوع من الشعر البطولي ، وقد أجراه بأسلوب حواري بينه وبين عاذلته ، هذه العاذلة التي لامته على كثرة مخاطرته بنفسه ، وهو يرد عليها مبيناً لها مبدأه في الحياة ، ومن الأمثلة الصريحة قوله مخاطباً زوجته موضحاً لها هدفه من الغزو: -

---

١ - محمد هوارة : اشتراكية الشعراء الصعاليك ، مجلة أقلام ، الجزء الثاني ، السنة الثانية ، ١٩٦٥، ٣٧ ،وانظر ما كتب حول ذلك أيضاً في:ملامح من الشعر القصصي في الأدب العربي: ١٥٢

٢ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ١٨٠ .

٣ - أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ، تحقيق على البجاوي ، دار النهضة ،مصر ،ط١ ، ١٩٦٧ ، ٥٦٥ .

ذريني أطوّفْ في البلادِ لعلنـــي أُخليكِ أو أُغنيكِ عن سُوء محضَرِ
فإن فاز سهمٌ للمنيةِ لم أكـــن جَزُوْعاً وهل عن ذاك من متأخرٌ
وإن فاز سهمي كَفَّكم عن مقاعد لكم خَلفَ أدبارِ البيوت ومنظرِ[1]

فهو يؤكد لها أنه مصمم على الغزو عازم عليه حتـــى يكفيهـــا مؤنـــة السؤال ، فإن خر صريعاً فهو أسهل عليه من حياة الذل والهوان والعذاب التي يعيش ، وعندئذٍ يكون قد فعل ما هو مطلوب منه فلا حرج عليه البتة، وإن غنم فإن ذلك يعود بالمنفعة لها ولأولادها .

ويستكمل الشاعر حواره مع عاذلته التي ما زالت مستمرة في نهيه عن الغزو فيقول على لسانها :-

تقولُ لك الويلاتُ هل أنت تارِكٌ ضَبُوءاً برَجل تارةً وبمنسرِ[2]

فهي تخوفه من مغبة ما هو مقبل عليه لعله يتراجع، ولكنه يرد عليها بأبيـــات غاية في الدقة والجمال من ناحية المعنى فيقول لها:-

أبي الخَفَضَ من يغشاكِ من ذي قرابة ومن كل سوداءِ المعاصمِ تَعتَري
ومستهنئٍ زيـــدٌ أبـــوه فلا أرى له مَدْفعاً فـــاقني حيـــاءك واصـــبري[3]

فهو يفند رأيها مبرزاً لها هدفه من الغارات والمتجسد فـــي الوفـــاء بحقـــوق الآخرين ، لذلك فهو يترك الراحة والدعة ويمضي غازياً حتى لا يأتيـــه أحـــد طالباً منه معروفاً فلا يجد ما عوده عليه ولا سيما إن كان من قرابته .

واستمراراً لهذا الحوار بينه وبين زوجته يعرض صورتين لنمطين من الصعاليك حتى تتضح رؤية الشاعر لزوجته فيقول في ذلك :-

---

١- ديوانه :- ٤٢ -٤٣ ، سوء محضر : المسألة ، والجزوع : الكثير الجزع وهو نقيض الصـــبر، وفاز : ظفر ، وسهمي : حظي ، وكفكم : أبعدكم ، وأدبار : خلف .

٢ - نفسه : ٤٤ ، الضبوء : اللصوق بالأرض ، والرجل : الرجالة .

٣- نفسه : ٤٥ ، الخفض : الدعة والراحة ، والمعاصم : جمع معصم وهو موضع السوار في اليد ، وتعتري : تأتي طالبة المعروف ، ومستهنئ : المستعطي ، وزيد أبوه : يعني رجلاً من قومه يجمعـــه وإياه زيد وهو جد عروة ، واقني :احفظي .

لحى الله صعلوكاً إذا جَنّ ليلهُ مُصَافي المُشَاشِ آلفاً كل مَجزَرِ
يَعدُّ الغنى من دهره كلّ ليلة أصابَ قِراها من صديقٍ مُيَسِّرِ
ينام عشاء ثم يصبح طاوياً يَحُتُّ الحصى عن جنبه المتعفِّرِ
قليلَ التماسِ الزادِ إلا لنفسه إذا أمسى كالعريش المجوّرِ
يُعينُ نساء الحي ما يستعنهُ فيمسي طليحاً كالبعيرِ المحسَّرِ
ولكن صعلوكاً صحيفة وجهِهِ كضوءِ شهابِ القابس المتنوِّرِ
مُطِلاً على أعدائه يزجرونهُ بساحتهم زَجرَ المنيح المشهرِ
فإن بعُدُوا لا يأمنونَ اقترابَهُ تَشوُّف أهلِ الغائبِ المتنظَّرِ
فذلك إن يلقَ المنيةَ يلقها حميداً وإن يَستغن يوماً فأجدرِ[1]

فهذه الأبيات لا تبتعد عن فكرة الشاعر وأسلوبه في الرد على زوجته العاذلة ، فحتى تتم عملية الإقناع بالفكرة والرأي كان لا بد للشاعر من أن يأتي بصورتين متناقضتين للصعاليك حتى تتضح الفكرة التي يريد إيصالها للزوجة ولغيرها ، فيعرض أولاً صورة لذلك الصعلوك الذي قبل أن يعيش في ذل وهوان ودعة وخمول ، فرضي بالظلم في المجتمع ، فصوره بصورة ساخرة فهمه أن يملأ بطنه وينام نومة هنيئة ولا يهتم بالغزو ، بل على العكس من ذلك فإنه يعين نساء الحي فيما يحتجن إليه من معونته فيمسي وقد أعيا وحسر من العمل كأنه بعير حسير ، وفي المقابل يرسم صورة لذلك الصعلوك الثائر الفاتك الشجاع فيصوره كالشهاب لقوة عزمه ، وهذا الصعلوك إن هجم على أعدائه حاولوا الهروب منه نظراً لشجاعته ، وفضلاً عن ذلك كله فإن الأعداء لا يأمنون قوته فيبقون خائفين منه ، ولا ريب في أن الصورة التي رسمها

١- ديوانه : ٤٦-٤٨ ، لحى الله صعلوكا : قبحه ، وجن ليله : أظلم ، ومصافي : الاختيار والملازمة، والمشاش : رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه ، والمجزر : موضع الجزر ، وطاويا : جائعاً ، ويحت الحصى : أي يفرك ما لصق بجنبه من الحصى ، والعريش : خيمة من الخشب أو الجريد ، والطليح : المعيى ، والشهاب : شعلة من نور ساطعة ، والقابس : طالب النار ، والمتنور : المضيء، والمشهر : المشهور ، والتشوف : التطلع ، وأجدر : أي ما أجدره بذلك .

الشاعر لهذا الصعلوك الشجاع تنطبق عليه فجاءت الأبيات قوية في مضمونها وألفاظها حتى تؤدي الرسالة التي وُجدت من أجلها .

فقد استخدم الشاعر الحوار ليعبر عن وجهة نظره التي يستشعر بها تجاه الحياة ، فالحوار يكشف انفعالات الشاعر ومشاعره المتمثلة في حب التضحية والمخاطرة ، وقد كشف هذا الأسلوب الحواري عن اختلاف رؤية الشاعر عن رؤية زوجته ، وقد وظفه الشاعر بأسلوب شائق تتضح من خلاله أصداء التجربة الذاتية ومعالمها الخفية .

ويكون السؤال لم هذا الخوف من المرأة على زوجها بسبب الغزو ، هل مرد ذلك إلى الأنانية ؟ لعل الدافع وراء ذلك أن المرأة تحب زوجها ، فهي ترى في هذا العمل فساداً لحياتها الزوجية لما يترتب عليه من موت للزوج وضياع للأولاد وفقدان للاستقرار المتمثل في وجود الزوج بين أسرته ، هذا الوجود الذي يخلق الطمأنينة في نفس الزوجة الخائفة ، فهي لذلك تنهاه عن هذا العمل لأن " من صور الحب المتبادل بين الزوجين حرص الزوجة على حياة زوجها وخوفها عليه ونصحها له بأن يرتاد طرق السلامة لئلا يقتل "[1]

وفي موقف حواري آخر يستحضر عروة بن الورد موقف زوجته الرافض لخروجه إلى الغزو فيقول في ذلك :-

ألم تعلمي يا أم حسانَ أننا ... خليطا زيال ليس عن ذاكَ مَقصَرُ
وأنّ المنايا ثغرَ كلّ ثنيةٍ ... فهل ذاك عما يبتغي القومُ مُحصِرُ
وغبراءَ مخشيّ رداها مخوفةٍ ... أخوها بأسبابِ المنايا مُغَرّرُ
؟ لعتُ بها شَكَّ الخِلاَج ولم أقل ... لخيّانةِ هيّابةٍ كيف تأمرُ[2]

١- عبدا لله عبدالجبار وزميله : قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ٤٧٢ .

٢- ديوانه : ٦٤ ، الخليط : القوم الذي أمرهم واحد ، والزيال : من زايله أي فارقه ، والثغر : موضع المخافة ، ومحصر : مانع ، وغبراء : مظلمة ، وأخوها : يعني عروة نفسه ، وشك الخلاج : ما خالجني ، والخيابة : الكثير الخيبة ، والهيابة : الكثير الخوف .

فرده على موقف أم حسان السلبي من وجهة نظره أنه يبين لهـا أن لا مجال أمامه إلا الغزو حتى يؤدي ما عليه من رسالة اجتماعية ، لأن المـوت حاصل لا محالة ، ويعرض لها موقفاً دالاً على بطولته وشجاعته وهو أنه يقطع الصحراء المقفرة التي يخشاها الناس دون أدنى خوف أو مشقة ، وهذا الحوار الوظيفي يشد أزر الحدث ويدفعه إلى القمة ويكشف عن نوازع الشاعر الذاتيـة ويعطيها الحرية في تقديم الرأي والدفاع عنه وتفنيد الرأي المقابل.

ومن صور هذا النوع من الحوار قوله :-

وسائلةٍ أين الرحيلُ وسائلٍ وَمَنْ يسألُ الصعلوكَ أينَ مذاهبهُ
مذاهبهُ أن الفجاجَ عريضَةٌ إذا ضَـــنَّ عنهُ بالفعالِ أقاربُهُ[1]

ويتضح دور الحوار هنا فالشاعر يستخدمه لتحقيق الذات والتعبير عن الرؤية ، وقد استطاع الشاعر تحقيق ذلك من خلال هذا التساؤل مـن المـرأة وهذه الإجابة الحكيمة من الشاعر بوساطة أسلوب الحوار ، فهـذه المـرأة أو السائلة تسأله عن مذهبه وعن وجهته ومسلكه ، ولكنه يجيبها بأنه لا يستطيع أن يعطيها إجابة شافية عن ذلك ، والسبب أن الصعلوك لا يعرف مسـلكاً واحـداً وجهة محددة ، لأن الأرض كلها مسلكاً له ، فهو " يرى حياته دائماً مغامرة لا تخضع لمنطق موضوعي "[2] فهو لا يريد أن يترك قبيلته ولكن القبيلة هي التي غدرت به وضايقته وعيرته فأجبر على الرحيل عنها .

فكان هذا الحوار وسيلة لكشف فلسفة الشاعر ويتضح ذلك جليـاً مـن خلال هذا السؤال الذي تطرحه السائلة ، حيث إن هذا التساؤل يعبر عن مشكلة يعاني منها الشاعر وتشغله ، فلا يمكن أن يأتي به دون فائدة وظيفية دلالية في النص .

ومن ذلك قوله :-

تقولُ ألا أقصرْ من الغَزْو واشتكى لها القولَ طَرْفٌ أحورُ العينِ دامعُ

١- ديوانه :٧٢ – ٧٣ ،الرحيل :الذهاب ،ومذاهبه :طرقه ،والفجاج :الطريق الواسع ،والفعال : الكرم
٢- العاذلة في الشعر الجاهلي : ٤٩ .

سأعنيك عن رَجْع الملامِ بمزمعٍ من الأمرِ لا يعشو عليه المطاوعُ
لبوسِ ثياب الموت حتى إلى الذي يُوائمُ إما سائـــمٌ أو مضـــارعُ[1]

فهذه المرأة حاولت أن تمنعه من الخروج للقتال خوفاً عليه ، وقد اتبعـت فـي ذلك أسلوب البكاء لعلها تنجح في عملها ، ولكن الشاعر يرفض ذلك لأن مبدأه ثابت وراسخ لا يتغير ، فنراه يرد عليها بأبيات جميلة طالباً منها أن تكف عن لومها وبكائها لأنه عزم على الغزو وأعد العدة، فلوم هذه المرأة لم يكـن فـي محله السليم لأنه نذر نفسه من أجل الاستمرار في سلوكه الذي آمن به .

واقرأ قوله في حواره مع أم حسان قائلاً :-

أرى أمَّ حسانَ الغداةَ تلومني تخوِّفني الأعداءَ والنفسُ أخوفُ

تقولُ سُليمى لو أقمتَ لسَرَّنا ولم تدرِ أني للمقامِ أطـــوَّفُ[2]

فمن خلال هذه الصيغ الحوارية بين الشاعر وزوجته يتبين موقفـه المنـاقض لموقف العاذلة (الزوجة) التي تخوفه الأعداء ، ولكنه يرد عليهـا رداً ينهـي لومها فرأيها مرفوض في مبدئه الحياتي .

ولعل في استخدامه لكلمتي (تلومني ، وتخوفني) إشارة إلـى مـدى الإصرار من جانب الزوجة على عدم قيام الزوج بالغزو والمغامرة ، لذلك فهي تلومه على هذا العمل بل وتخوفه منه ومن نتائجه .

والجدير بالملاحظة هنا من خلال المواقف الحوارية السابقة أن الشاعر يعرض رأي المرأة (الزوجة) بإيجاز شديد غالباً ، ولكنه عندما يقوم بالحديث عن مذهبه وفلسفته ورؤيته إلى الحياة فإنه يسهب في ذلك ويفصـل معالمـه ،

١- ديوانه : ٨٢ ، ألا أقصر من الغزو : أي أمسك عن الغزو ، وأحور العين : وهو شـدة بيـاض العين في شدة سوادها ، ورجع الملام : أي إعادة اللوم ، وأمر مزمع : مضى فيه ، ولا يعشو عليه : لا يثبت ، والمطاوع : الموافق المطيع ، ولبوس ثياب الموت : أي يكثر من لبسها ، ويوائم : يوافق ، وسائم : ذاهب ، ومضارع : مشابه .

٢- ديوانه: ٥٠ ، تلومني : تعذلني ، وتخوفني الأعداء : أي تخوفني الخروج إلى الأعداء .

وهو بذلك يحاول أن يعوض عن نقص يحس به، فالصعاليك ومنهم عروة بن الورد كانوا منبوذين من المجتمع والقبيلة ، ومن أجل ذلك فلا أقل من أن يستحضر الشاعر المرأة ويحاورها ليثبت لنفسه أنه موجود وأن هناك من يخاف عليه ، وقد ساهم الأسلوب الحواري في هذه الأبيات على إعطائها صفة الواقعية والمصداقية .

ومثل هذا الحوار حول المخاطرة بالنفس لم يكن مع المرأة فحسب، وإن كان هذا هو الغالب في ديوانه ، ولكننا نجد حواراً من هذا الجانب مع أهل الكنيف الذين كانوا معه فيقول :-

قلتُ لقومٍ في الكنيفِ تروَّحوا ... عشيـــــةَ قلنا عند ماوان رُزَّحِ
ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتراً ... من المال يطرحْ نفسَه كل مَطرحِ
ليبلغَ عُذْراً أو يصيب رغيبةً ... ومُبلغُ نفسٍ عُذْرها مثلُ مُنْجحِ
لعلكم أن تَصْلُحوا بعدما أرى ... نباتَ العِضاه المُقبل المتروّحِ[1]

فعروة بن الورد يحاور أصحابه من أهل الكنيف آمراً إياهم بالمخاطرة بالنفس من أجل الحصول على الحياة الكريمة ، فالإنسان الفقير الذي لا يجد شيئاً فإنه يرمي بنفسه في كل المخاطر ، فإما أن يعيش كريماً فذلك الذي يريد ، وإن رجع مخفقاً ولم يصب شيئاً من غزوته ، فإنه بهذا العمل يكون قد أبلغ نفسه عذرها وكان كأنه قد نجح حين لم يقعد عن الطلب، ثم يخاطبهم قائلاً : لعلكم تصلحون بعد ما نزل بكم من الجهد والتعب وتنبت لحومكم كما صلحت تلك الشجرة في البر بعد اليبس ، وفي هذا إشارة إلى مدى الإرهاق الذي لحق بهم إضافة إلى شدة فقرهم ، فمن خلال هذا الأسلوب الحواري أراد أن يبين ما قد يلحق الإنسان بفعل الغزو من جهد وتعب ، ولكن النهاية قد تكون تلك النهاية المرجوة المأمولة .

١- ديوانه : ٥٢ – ٥٣ ، الكنيف : الحظيرة من الشجر تتخذ للإبل والغنم لتقيها الريح والبرد ، وتروحوا : سيروا وقت الرواح ، ورزح : مهازيل ، ويطرح نفسه كل مطرح : أي يرمي نفسه في كل مشقة ، والرغيبة : الشيء المرغوب فيه ، الطلح : شجر عظام من شجر العضاه ترعاها الإبل .

واستمع إليه يخاطب قومه ويحاورهم لأنهم أنقصوا من شأنه بسبب أمه الغريبة فيقول في ذلك :-

أعيرتمونـــــي آنّ أمي نزيعةٌ وهل يُنْجِبَنْ في القومِ غيرُ النزائعِ

وما طالبُ الأوتارِ إلا ابنُ حرةٍ طويلُ نجادِ السيفِ عاري الأشاجعِ[1]

لقد كان رده على من عيّره بذلك رداً عنيفاً قوياً يحـــس القـــارئ أنـــه صادر عن نفس متأججة قوية لا تخشى الموت أو الهلاك ، فيقول لهم متسائلاً مستنكراً : وهل تنجب في القوم إلا من ذكرتموهن بسوء ، وهذا الذي يُنجـــب ليس شخصاً عاديا إنه شجاع ومقاتل ومحنك .

١- ديوانه : ٧٥ ، نزيعة : غريبة ، والأوتار : جمع وتر وهو الثأر ، ونجاد السيف : حمائله ويعني بطويل نجاد السيف طول قامته ، والأشاجع : جمع أشجع : عروق ظاهر الكـــف ، ويريـــد بعـــاري الأشاجع أن اللحم قليل عليها .

ثالثاً :الحوار ورؤية التضحية في سبيل المبدأ :

على الرغم من كثرة الصعوبات التي واجهها الشعراء الصعاليك في حياتهم إلا أن ذلك لم يمنع من وجود مبدأ عندهم يقدمون أنفسهم رخيصة في سبيله ، فالمبدأ الذي عاش له الصعاليك عامة وعروة ابن الورد خاصة هو الاستهانة بالحياة والاستخفاف بها ، وإضافة إلى ذلك فإنهم آمنوا بالموت الكريم وعدم القبول بالظلم والإهانة في المجتمع .

فقد آمنوا بأن الموت حاصل ، وما دام الأمر كذلك فلا داعي للخوف منه ، ولا عذر لقبول حياة الذل ما دامت النتيجة واحدة ، فهم يقدمون أنفسهم في سبيل تخليص الفقراء والضعفاء من حياة الذل لتحقيق العدالة الاجتماعية في مجتمع فقد هذه الصفة في نظرهم ، لذلك كله فهم أصحاب نفوس كريمة عزيزة على الرغم من ضعفها وفقرها ، وعزة النفس هذه هي التي هوّنت الصعاب أمامهم وذللتها ، ولم يكن عروة بن الورد بدعاً من الشعراء الصعاليك في الامتثال لمثل هذه المبادئ والقيم .

وقد تكون هذه المبادئ التي نجدها في شعره لم تأت إلا بوصفها تعويضاً عما يحس به الشاعر من ظلم وقهر في المجتمع ولم تكن نابعة من نفسه وداخله. ويمكن القول بأنه كان مخلصاً لهذه المبادئ كما هو واضح في شعره ، حتى إنه كان مستعداً لأن يخاطر بنفسه من أجل تحقيق هذه المبادئ والوفاء بها ، ولعل أعماله التي كان يقوم بها تؤيد ذلك وتؤكده .

وقد استطاع عروة بن الورد أن يجسد هذه المبادئ في شعرة مستخدماً أسلوب الحوار والخطاب ومن الأمثلة على ذلك قوله: –

أرى أمّ حسانَ الغداةَ تلومني ... تخوفني الأعداءَ والنفسُ أخوفُ

لعل الذي خوّفتنا من أمامناَ ... يصادفه في أهلِهِ المتخلِّفُ[1]

١– ديوانه : ٥٠

فالشاعر يؤمن بمبدأ عام وهو أن الموت لا مهرب منه ولا مفر ، حتى إن الإنسان المتخلف عن القتال قد يدركه الموت ، بينما الإنسان المقاتل في ساحة المعركة قد ينجو منه ، وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يتلذذون في غزواتهم ومغامراتهم ، فكان الحوار هنا معبراً عن الحوادث ، وهذا يجعل القارئ يعيش الأحداث ويتمثلها بصورة كاملة .

واقرأ قوله مخاطباً أصحاب الكنيف:-

قلتُ لقوم في الكنيفِ تروحوا عشيةَ قِلْنا عند ماوان رُزَّحِ
تنالوا المنى أو تَبْلُغُوا بنفوسكم إلى مستراحٍ من عَناءٍ مُبَرَّحِ [1]

فهو في حواره مع أهل الكنيف يطلب منهم أن يرحلوا عن مكان يهانون ويظلمون فيه ، فيبين لهم أنه برحيلهم عن هذا المكان إما أن ينالوا المنى أو يستريحوا من التعب المؤلم الذي يشعرون به.

وقد كرر خطابه لأصحاب الكنيف ونصحه لهم في قوله :-

وقلتُ لأصحابِ الكنيفِ ترحَّلوا فليسَ لكم في ساحةِ الدارِ مَقْعَدُ[2]

فالصعلوك يرى أن المكان الذي يهان به ليس مكاناً لإقامته لأنه صاحب نفس أبية لا تقبل الظلم ، لذلك عليه أن يرحل إلى مكان يجد فيه نفسه ، وهل هناك عزة نفس أكثر من أن يترك الإنسان وطنه وأهله في سبيل الحفاظ على كرامته ؟ فهو هنا يعطي أصدقاءه درساً في سبيل الكرامة والفناء في سبيل المبدأ .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله :-

فقلتُ له ألا احي وأنت حرٌّ سَتَشْبَعُ في حياتِك أو تموتُ[3]

١- نفسه : ٥٢ ، العناء : التعب ، والمبرح : المؤلم .

٢- نفسه : ٨٧ ، ساحة الدار: نواحيها ، ومقعد : بمعنى قعود .

٣- ديوانه : ٧٨

فالشاعر يريد لنفسه ولغيره أحد أمرين : إما أن يعيش عيشة كريمة حرة أبية لا ظلم فيها ولا إهانه ، أو يموت في عز وكرامة ، وهو في الأمرين قد فعل ما باستطاعته .

وشبيه بهذا قوله :-

فسْر في بلاد الله والتمسِ الغنى تعشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتعذرا[1]

ونلاحظ أن الشاعر قد استخدم في المثالين السابقين أسلوب التجريد وهو أن يجري الشاعر الكلام لغيره وهو يريده لنفسه[2]،فذات الشاعر هنا تنقسم إلى قسمين ذات مخاطِبة وذات مخاطَبة ، وهذا الأمر لا ينفك إطلاقاً عن مبدأ آمن به الشاعر وهو أن الأنا تتمثل في الأنت أو الهو .

ويخاطب الشاعر قومه مبيناً أن الموت خير لهم من حياة الجوع والتعب فيقول :-

أقيموا بني لبنى صدورَ ركابكمِ فإن منايا القوم خيرٌ من الهَزل[3]

لقد وجد عروة بن الورد في هذه الصيغ الحوارية الخطابية سبيلاً وطريقاً لبسط فلسفته ، حتى إن الدارس ليلمح من خلال هذه الأبيات عامة الآمال والمطامح التي كانت تدور في نفسه ويأمل بتحقيقها ، فجاءت صورة معبرة عن رؤيته التي آمن بها .

١-ديوانه : ٨٨

٢- انظر حول المصطلح لغة واصطلاحاً في:- لسان العرب: مادة (جرد)، وابن معصوم : أنوار الربيع في أنواع البديع: تحقيق شاكر هادي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشراف ، ط١ ، ١٩٦٩ ، ١٥٣/٦ ،و النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب : ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ١٥٦/٧ ،و أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٤٠/٢ – ٤٧ .

٣- ديوانه : ٥٥ ، الهزل: الجوع .

الخاتمة :-

هدفت هذه الدراسة إلى بيان الحوار في شعر عروة بن الورد ، واتضح دور الحوار في بنية النص الشعري من حيث تراصه وتماسكه وإيصال الفكرة إلى المتلقي .

وتبين من دراسة الحوار في ديوان عروة بن الورد الهدف من وراء استخدام الشاعر لهذا الأسلوب الذي أجراه على لسان العاذلة بشكل لافت ، فقد تشكل الحوار في ديوانه في رؤى مختلفة منها رؤية الكرم والعطاء ، فمن خلال الحوار استطاع الشاعر أن يثبت رؤيته تجاه الكرم ، هذه الرؤية التي تجسدت في معانٍ كثيرة ، فهو كان على استعداد أن يضحي بنفسه في سبيل رفع الجوع عن الفقراء والمساكين ، كما اتضح موقف الشاعر من الفقر حيث عده سبباً للذل والإهانه في المجتمع ، لذلك عمل جاهداً على كسب المال ، وهو بهذا العمل لا يريد تحقيق مصلحة ذاتية وإنما كان هدفه مساعدة الآخرين .

كما ظهرت رؤية الشاعر تجاه الشجاعة والمخاطرة بالنفس ممثلة بأسلوب الحوار أيضاً ، فقد رفض عذل المرأة التي تنهاه عن المخاطرة والغزو والإغارة واستمر في مبدئه الذي آمن به ، لأنه مقتنع أن هذه الغزوات هي السبيل لإثبات الأنا وتأكيد حقوق الآخرين.

واستخدم الشاعر الحوار لتشكيل رؤية التضحية في سبيل المبدأ ، فالصعاليك عامة ومنهم عروة بن الورد آمنوا بمبادئ عامة قدموا أنفسهم في سبيل تحقيقها فآمنوا بالموت في سبيل عدم القبول بالظلم أو الإهانه ، وعملوا على تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وهذا كله دفعهم إلى الاستخفاف بالحياة ، فهم فقراء ولكنهم أصحاب نفوس عزيزة كريمة أبية ، فكان الحوار عاملاً مساعداً في بناء اللغة الشعرية عند الشاعر وإظهار فلسفته وآرائه .

المصادر والمراجع :-

١- إبراهيم أحمد ملحم : العاذلة في الشعر العربي إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك ، ١٩٩٧ .

٢- إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، دار الأمواج ، بيروت ، ١٩٨٧

٣- إبراهيم السنجلاوي : العاذلة في الشعر الجاهلي ، مجلة الدراسات العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت ، المجلد السابع ، العدد السابع والعشرون ، ١٩٨٧ .

٤- أحمد الحوفي : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر، ط٣ ، ١٩٥٦ .

٥- أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العربي العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٦- إميل النجار : أبو الصعاليك عروة بن الورد ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص ، ط١ ١٩٨١ .

٧- بسفيلد روجر : فن الكاتب المسرحي ، ترجمة : دريني خشبة ، دار نهضة مصر الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٨- حسني عبد الجليل : النفس في الشعر الجاهلي ، مكتبة الآداب ، ١٩٨٩

٩- حسني محمود : عروة بن الورد الشخصية والمثال ، مجلة المورد ، بغداد، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، ١٩٨٢ .

١٠- أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ، تحقيق : علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، ط١، ١٩٦٧ .

١١- سامي سويدان : الحوار في الرواية : الموقع والدور ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، العدد ٩١ ، ١٩٩٨ .

١٢- سعيد الأيوبي : عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٥ .

١٣- سعيد شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ،القاهرة، ط٢

١٤- سيد أحمد عمارة : الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، دار تركي للطباعة ، طنطا ، ١٩٩٣ .

١٥- شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، دار المعارف القاهرة ، ط١٠ ، ١٩٨٢

١٦- عبد الله عبد الجبار وزميله : قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠ .

١٧- عروة بن الورد : ديوانه ، صنعة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، تحقيق محمد فؤاد نعناع ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٥ .

١٨- عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، دار العودة ، بيروت،١٩٨٨ .

١٩- علي سليمان : الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع ، وزارة الثقافة،٢٠٠٢ .

٢٠- عمر فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٢١- الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة .

٢٢- محمد مندور : الأدب وفنونه ، دار نهضة مصر ، ط٢ .

٢٣- محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه : الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٢٤- محمد هدارة : اشتراكية الشعراء الصعاليك ، مجلة أقلام ، الجزء الثاني ، السنة الثانية ، ١٩٦٥ .

٢٥- ابن معصوم : أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق : شاكر هادي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٩٦٩ .

٢٦- منذر الزعبي : البطولة في الشعر الجاهلي ، رسالة دكتوراة ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٧ .

٢٧- ابن منظور:لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط٣، ١٩٦٨ .

٢٨- مي يوسف خليف : العناصر القصصية في الشعر الجاهلي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ .

٢٩- ناصر الحاني : المصطلح في الأدب الغربي ، دار المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٦٨ .

٣٠- نوري القيسي : ملامح من الشعر القصصي في الأدب العربي ، مجلة كلية الآداب ، بغداد المجلد ٢٤ ، ١٩٧٩ .

٣١- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٣٢- يوسف خليف : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ .